باب المكاتبة والمذاكرة

Causerie et Correspondance.

نقد كتاب اعلام العراق

حضرة الاب انستاس ماري الكرملي صاحب مجلة (لغة العرب) المحترم .

نشر صاحبنا الاثري كتابه (اعلام العراق) فاقتنيت منه نسخة فتصفحتها تصفحا مجملا عثر في اثنائه ناظري بهنوات جلى ولاني لم احب ان ازعج صديقي وزميلي، تغافلت عن الكتابة راجيا ان يكفيني المؤونة غيري من ارباب الاقلام.

ومع مضي هذه المدة الطويلة لم اظفر بشيء مما كنت اريد ان يكتب اللهم إلّا بضعة اسطر وجدتها منشورة في مجلتكم الغراء وإلّا بضعة عشر سطرا نشرت في مجلة (المجمع العلمي) الموقر وكلا الانتقادين بمجمل غير مفصل اذ قد تركا الافصاح عن كثير من الخبايا التي فيها الجناية على التاريخ والافتئات على الحقيقة والاستخفاف بالقراء !

اما حضرتكم فعسى ان يكون لكم بعض العذر لالتزامكم خطة المسالمة واما المجمع العلمي فلعله معذور ايضا لان الكتاب قدم اليه كهدية ومن شأن الهدية ان تقبل على علاتها !

على ان السطور التي نشرت في مجلة المجمع ضمنت مزاعم هي احق بالانتقاد وان كان المجمع معذورا من هذه الجهة ايضا لبعد الدار الذي هو اكبر باعث على الاطمئنان الى السماع واكبر عائق عن الالمام بالحقائق .

ونحن نحاشي المجمع المبجل ان يكون سوقا تعرض فيها السلع البالية وان يكون ، مسمعا يفتح ساحته لكل اذاعة . لاسيما ان الكلمات التي يكتبها المجمع في شأن شخص بمنزلة شهادة يتقبلها كثير من الغافلين عن العلم باصول الجرح والتعديل فجدير بالمجمع ان يزن كلماته بدقة واعتناء كما توزن حبات الجواهر واليواقيت .

ان للانتقاد فوائد جمة منها ما يعود الى المنتقد (بالفتح) ولا سيما المبتدئ فيتخذ من الانتقادات التي تنهال عليه حروزا وتعاويذ تنفعه عند الدخول في بيداء تأليف آخر . ومنهـا ما يعود الى القراء ولا سيما تلاميذ المدارس ! اذ يغسل ادمغتهم مما علق بها من اوضار الخرافات والشعوذة .

فارجو من حضرة الاب ان يفسح في مجلته لنشر ما كتبته من هذه العجالة ليستحق شكر الحقيقة لا شكري .

محمود الملاح

كنت اود ان يكون انتقادي على طريقة التصفح للكتاب صفحة صفحة ولكن خفت ان يضيق صدر الوقت عن استيعاب ماينجم عن هذه الطريقة لذلك عدلت الى وضعه على هيئة مواد متسلسلة الارقام اذكر في كل مادة نموذجا لمدلول عنوانها .

وتحريت ان انصف المؤلف ليتجلى الانتقاد بصفاء ونقاوة كيلا تضيع الحقيقة بين ثنيات الشخصيات والخروج عن الموضوع ولكيلا ينفتح باب التنابز والتراشق على مصراعيه ومن الله العون :

١ — احتكار العنوان

اذا صح تشبيه عنوان الكتاب بنقطة مركزية تتوجه اليها جميع الخطوط فانه ينبغي ان نوجه الى عنوان كتاب (اعلام العراق) سهاما نارية من الانتقاد بقدر تلك الخطوط ! فان كل مخلوق مستوى القامة سمع شيئا عن العراق ، يعلم انه قطر واسع يشتمل على عدة مدن وان هذه المدن تشتمل على عدة طوائف وان كل طائفة تشتمل على اسر ممتازة وكل اسرة فيها رجال بارزون اما في العلم واما في السياسة واما في الثروة واما في السلوك الحسن وهؤلاء الرجال كلهم جدير ان يستظل بلواء هـذا العنوان فما بالهم اقصوا « واقعدوا في الشمس» إلّا الاسرة الالوسية ؟ وهكذا استاثر الاثري بثروة العنوان الجزيلة ووزعها على احبابه ولكن سوف تظهر جناياته عليهم !

٢ — تحكيم العواطف في التاريخ

جدير بمن يعالج موضوعا تاريخيا ان ينزع عواطفه ويلقيها جانبا فاذا فرغ من شأنه امكنه استعادتها وارتداءها من جديد . اي ان المؤرخ لا يؤرخ لنفسه بل

يؤرخ للناس فيجب ان يقف موقف الحياد مادام القلم في يده لتخرج صحيفته نقية لايشوبهـا شيء من الوان العواطف ولا سيما العواطف التي تنغمر فيها الحقائق كالغلو والاغراق فيحتاج متتبع الحقيقة في ذلك الكتاب ان يكشط طبقة ثخينة من حراشف المبـالغات حتى يتوصل الى اللباب ولا يكاد .

قد يكون الاثري معذورا في حشر الالقاب الضخمة الى ساحة استاذه لان ثروة الميت اذا نمت زادت ثروة الوارث ! ولكن ـ كما يقول المثل العراقي ـ (ما ها الثخن) !..

نشارك الاثري في تعظيم استاذه ولا نبخسه حقه ولكن لسـانتا يتلجلج بالبيت الذي خاطب به استاذه في مرثيته ص ٢٠٨ وهو :

وانت انت الذي دانت لهيبته قبائل العرب اذواء واقيالا

على منوال قول الشاعر :

وانت انت الذي حطت له قدم في موضع يده الرحمن قد وضعا

ومعنى الاذواء والاقيال ملوك اليمن القدماء الذين انقرضوا قبل الاسلام ولم يبق في اليمن منهم باقية فهذا البيت لو لم تنظر اليه بعين العصر الحديث بل نظرنا اليه بعين العصور العريقة في الخرافات لما سلم من الانتقاد وذلك من خمسة وجوه .

(١)ـ كيف سلم الى شيخه صولجان هذه الهيبة الخارقة ؟

(٢)ـ هبه كان مالكا لهذا الصولجان المذهب ولكن كيف تأتى ان يهابه اناس لم يعاصروه بل خلقوا قبله بخمسة عشر قرنا ؟!

(٣)ـ اي نكتة في تخصيصه قبائل العرب دون غيرهم وما علاقة ذلك في البلاغة؟

(٤)ـ اي نكتة في تخصيصه الاذواء والاقيال الذين هم ملوك جزء من العرب دون غيرهم وما علاقة ذلك بالبلاغة ؟

(٥)ـ كيف استساغ احتكار هـذه الهيبة الخارقة في شيخه ؟ كما يشعر بذلك تكرار (انت) كما يقول بعضنا لبعض : انت انت الذي فعلت ذلك اي لا غيرك وانا انا الذي فعلت ذلك اي لا غيري .

ولو صح الاعتذار لاعتذرت عن الشـاعر بان حضرته ممن تتصرف فيهم

القافية اكثر مما يتصرفون هم فيها والدليل على ذلك استعماله الفاظا مهجورة يمجها الذوق السليم كقوله (احطالا) و (جثلالا) و (اهبالا) و (اهضالا) .

ولينظر القارىء ماذا ترك الشاعر لمحمد بن عبدالله وعمر بن الخطاب بعد مخاطبته شيخه بقوله قبل هذا البيت ؟ :

وانت انت الذي من بأسه ارتعدت فرائص الكفر تشكو الدهر اوجالا

وقبله :

وانت انت الذي قد كان (منتظرا) فكم هديت الى الاسلام ضلالا

هكذا واضعا كلمة (منتظر) بين قوسين !!! فهل في وسع المؤلف ان يذكر لنا كافرا واحدا اهتدى الى الاسلام على يد شيخه ؟

٣ — سوء الاختيار

لايخفى ان المؤلف قصد من تاليفه الكتاب الى التنويه بشأن هذه الاسرة المشهورة بالفضل وان كان وراء هذا الغرض غرض آخر ! — وهذه الاسرة لشهرتها لا تكاد تحتاج الى مثل هذا الكتاب ! ولكن لا اريد ان اناقشه من هذه الناحية بل اريد ان اناقشه من جهة ذوقه ! أوليس من اراد التنويه بشان رجل عمد الى احسن ما يؤثر عنه ؟ .

لكن صاحبنا الاثري لما اراد الاشادة بعلو كعب المرحوم السيد عبد الله الالوسي في صناعة الانشاء اختار له القطعة الاتية وهي قطعة نمقها في وصف مطر غزير وقع في بغداد وفيضان هائل في دجلة . ويغلب على الظن ان هذه القطعة حبرها السيد المذكور في مفتتح اشتغاله في الكتابة وذلك لما فيها من سذاجة الذوق والاضطراب في التركيب كقوله في ص ٤٨ـ٤٩ :

« وشرع جني الليل يخوف صبي النهار » ومنها « وشزعت جواميس القفف تسبح شرعا في اللجج وتنطح بقرون مغاريفها الامواج » ومنها « وذهبت الى دجلة ليشرب فم سمعي الخبر » وليس كل ما امكن تنزيله على قواعد المجاز والاستعارة كان مقبولا اذ لا يخفى ان هناك مناسبات واعتبارات ذوقية لايبعدها من كان له بصر في هذه الصناعة .

وكقوله : « وبعد سويعة انتصرت لهم الغزالة ففتحت عينها من بين اجفان السحاب » وهذه العبارة جميلة جدا لو لم يعطف عليها قوله : « وصرعتهم

بقرونها فمزقتهم كل ممزق » فكيف يأتلف انتصارها لهم وصرعها اياهم ؟!! وفي وسع القارىء ان ينظر بقية العبارات. هذا ما يقال من جهة الذوق والتركيب . اما ما يقال من جهة تطبيق المآل على الواقع فانه انما ذهب الى دجلة ليشاهد بعينه لا ليسمع باذنه كما يفهم من قوله « فرأيتها قد اغرورقت عينها من الفرح » فكيف قال « ليشرب فم سمعي الخبر » بل كان عليه ان يقول : «ليشرب فم عيني » !

يتبع محمود الملاح

نظرة في الجزء الثالث من المجلد الخامس من لغة العرب

في حاشية صفحة ١٥٣ :

النرقيلة كلمة فارسية بمعنى الفرشة (الكاتب) والمشهور نارجيلة (ل . ع).

قلنا : النارجيلة كلمة مولدة وردت في لسان الاعراب المتأخرين وذكرها السيد محمد سعيد الحبوبي في مطلع ابيات له في وصفها وهو :

ونارجيلة تهدى بكف رشا حلو الدلال رشيق القد ميـاس

ولم نر في كتب العرب المتاخرين وكتاباتهم كلمة نرقيلة (المصحفة) ، ولعل الكاتب اخذها من افواه العامة المعبرين عنها بالتركيلة .

وهذه الكلمة ليست فارسية (كما زعمه الكاتب) ولا يعرفها احد من الفرس والفرس تقول (في التعبير عن النارجيلة) « قليان » ولعله تصحيف غليان لان له صوتا يشبه غليان القدر .

وقال في السطر الثاني :

الكليتدار كلمة فارسية معربة . قلنـا : ان الكلمة تكتب هكذا : كليدوار لان المفتاح عند الفرس كليد (بالدال) لا كليت .

وفي ص ١٧٤ س : ٢٣ : مكاتبات الاخوان بالشعر .

قلت ان صاحب روضات الجنات كتب اسم هذا الكتاب (نقلا عن وفيات الاعيان لابن خلكان) : مخاطبات الاخوان بالشعر .

وفي ص ١٧٧ س ٢ هبة الدين الحسني . والصواب الحسيني لان نسبه ينتهي الى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام . وتكرر هذا الاشتباه في السطر الرابع من الصفحة المذكورة .

محمد مهدي العلوي

(ل.ع) جوابنا على هذا النقد يكون في الجزء القادم لضيق المقام .